

2024

فينيق
PHOENIX



التداعيات الإقليمية
بعد السابع من أكتوبر

" مفهوم وحدة الساحات وتطبيع العلاقات "



د. هاني رمضان طالب
باحث العلاقات الدولية

مركز فينيق للأبحاث
والدراسات الحقلية

مركز فينيق للأبحاث والدراسات الحقلية

التداعيات الإقليمية بعد السابع من أكتوبر
"مفهوم وحدة الساحات وتطبيع العلاقات"

د. هاني رمضان طالب
باحث العلاقات الدولية

غزة - فلسطين

يونيو 2024



المحتويات

3	رؤيتنا
3	رسالتنا
4	ملخص
5	مقدمة
6	أولاً: مدخل مفاهيمي
8	ثانياً: اتجاهات التصعيد بعد السّابع من أكتوبر
13	ثالثاً: مسار التّطبيع العربي الإسرائيلي
18	رابعاً: فاعليّة وحدة السّاحات ومستقبلها
20	الخاتمة



رؤيتنا

مؤسسة فلسطينية مستقلة غير ربحية، تأسست في إطار مسؤوليتها تجاه المجتمعات الفلسطينية لتلبية احتياجاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال تقديم خدمات بحثية عميقة، تعمل على تمكين المجتمع الفلسطيني على المستوى الفردي والجماعي، ومعالجة تحدياته المختلفة. يعمل المركز على استخدام أساليب متنوعة لجمع البيانات الكمية والنوعية لمعالجة الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني، من خلال عدة برامج ومشاريع بحثية سنوية وشهرية لتقديم تصورات علمية وعملية لصانع القرار الفلسطيني. من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة التحديات المختلفة.

رسالتنا

دعم كافة الجهات والشرائح الفاعلة في المجتمع الفلسطيني وصناع القرار الفلسطيني بدراسات حقلية ودقيقة، مبنية على مسوحات علمية ومنهجية، تتسم بالشفافية والمصداقية والحيادية في كافة التخصصات والمجالات الحيوية.



ملخص

شهد الإقليم قبل السّابع من أكتوبر حراكًا لافتًا، فكان على وشك صياغة ترتيبات جديدة، حيث شهدت الآونة الأخيرة اتفاقًا سعوديًّا/إيرانيًّا برعاية صينيّة، وحوارًا سعوديًّا/إسرائيليًّا كان قد وصل إلى مرحلة متقدمة بوساطة أمريكيّة، إلى جانب الإعلان عن مشاريع اقتصاديّة ضخمة كمشروع الممر الاقتصادي بين الهند والخليج العربي وأوروبا، بالإضافة إلى إقدام كل من الإمارات والبحرين والمغرب والسودان على توقيع اتفاقيّات لتطبيع العلاقات مع إسرائيل في العام 2020م، مما أوحى إلى أطراف إقليميّة وفلسطينيّة بأن المنطقة مقبلة على مرحلة حاسمة من تصفية القضية الفلسطينيّة. إلا أن إطلاق عمليّة طوفان الأقصى - في ظلّ دعوة حركة حماس إلى تفعيل معادلة (وحدة الساحات) وما لحقها من حرب على قطاع غزة- كان كفيلاً بخلط الأوراق، والذي من المتوقع أن يؤدي إلى إعادة ترتيب مشهد إقليمي جديد.

وستحاول هذه الورقة تسليط الضوء على التداعيات الإقليمية لعمليّة السّابع من أكتوبر على الحراك السّياسي والأمني في منطقة الشرق الأوسط، خاصة في ضوء تصاعد حدّة المواجهة على الجبهة الشّمالية مع حزب الله، وتصعيد المواجهة في البحر الأحمر من قبل جماعة الحوثيين، كما سوف تتناول مآلات التطبيع العربي الإسرائيلي، وإستراتيجيّة وحدة السّاحات في ضوء نتائج عمليّة السّابع من أكتوبر.



مقدمة

انطلقت عملية طوفان الأقصى صباح يوم السابع من أكتوبر 2023، وقد شنتها كتائب الشهيد عز الدين القسام – الجناح العسكري لحركة حماس –، وقام قائدها "محمد الضيف" بطرح مصطلح (وحدة الساحات)، في البيان الأول عقب الشروع في العملية، إذ دعا جميع مكونات ما يعرف بمحور المقاومة المدعوم من إيران إلى مساندة ودعم العملية، بقوله: "يا إخواننا في المقاومة في لبنان وسوريا والعراق وإيران هذا هو اليوم الذي ستلتحم فيه الجبهات"⁽¹⁾، في إشارة إلى أن عملية (طوفان الأقصى) لن تقتصر على غزة؛ بل ستشمل الساحة الإقليمية أيضًا، ليتبع هذه الدعوة مباشرة حشد عسكري غربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، ويعدُّ هذا الحشد هو الأضخم من نوعه منذ غزو العراق في 2003، مما زاد من احتمالية توسيع رقعة المعارك من حرب غزة إلى حرب إقليمية كبرى قد تجتاح الشرق الأوسط برُمَّته.

وأفرزت مشاهد الحرب التي خلّفت عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى تساؤلات وسيناريوهات متعلقة بمسارات الحرب الدائرة الآن، ومستقبل قطاع غزة والضفة الغربية على الصعيدين الجغرافي والديموغرافي، في ظلّ التوقُّعات المتباينة حول إمكانية نشوء أي عملية سلمية سياسية جادة قادمة، إلى جانب تداعياتها ومدى تأثيرها في المحيط الإقليمي سياسيًا وأمنيًا، ودور اللاعبين الإقليميين سواء كانوا من الدول التي يطلق عليها دول الطوق (مصر، والأردن)، أو قوى ما دون الدولة التي تشهد صعودًا بارزًا في (لبنان، وسوريا، والعراق، واليمن) أمام دور الدولة الوطنية.



(1) موقع B B C الإخباري، بتاريخ 2023/10/11، على الرابط التالي: <https://n9.cl/gvt3j>.

أولاً: مدخل مفاهيمي

برزت في السنوات الأخيرة بعض المصطلحات الجديدة - تتعلق بالصراع العربي/الإسرائيلي - التي تدعو إلى توحيد ساحات المواجهة، أو توحيد جميع الجبهات مع العدو الإسرائيلي، أو إنشاء ما يسمى بمحور المقاومة الذي يضم قوى المقاومة في لبنان وفلسطين وبعض دول المنطقة، ويشبه هذا الشعار ما كان يسمى في السبعينيات أو الثمانينيات من القرن الماضي (جبهة الصمود والتّصدي) التي ضمت عددًا من الدول العربية والقوى الفلسطينية الراضية لمشروع التسوية مع العدو الإسرائيلي، أو اتفاقية كامب ديفيد التي عقدها النظام المصري مع الكيان الصهيوني عام 1978.

لقد تم إطلاق مصطلح (وحدة الساحات) بعد معركة (سيف القدس) التي أطلقتها حركة حماس في شهر أيار/مايو من عام 2021 دفاعًا عن المسجد الأقصى، وردًا على الانتهاكات الصهيونية للمسجد والقدس، ومحاولة إزالة حي الشيخ جراح في القدس، وتمت ترجمة هذا المصطلح بصورة واضحة لأول مرة على أرض الواقع عبر إطلاق الصواريخ من قطاع غزة وجنوبي لبنان وسورية، مع ارتفاع وتيرة عمليات المقاومة في الضّفة الغربيّة، واندلاع مواجهات واسعة في عدة مناطق في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948.

وقد تبلور مصطلح أو مفهوم (وحدة الساحات)، في خطابات أمين عام حزب الله في لبنان "حسن نصر الله" في أكثر من مناسبة في سياق دعوته إلى توحيد جبهات المقاومة، خاصةً خلال استقباله في أغسطس/آب 2022، أمين عام حركة الجهاد الإسلامي "زياد نخالة" في بيروت، حيث بحث معه معركة وحدة الساحات، وفي 2 أيلول/سبتمبر 2023 حدث لقاء ثلاثي في بيروت بين حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي لمناقشة الأوضاع الفلسطينية، وقد أشارت الوسائل الإعلامية المقربة من حزب الله وإيران إلى أن هذا الاجتماع بمنزلة تأكيد لمبدأ (وحدة الساحات)، بين الفصائل التي تقاوم إسرائيل على مختلف الجبهات⁽¹⁾.

وقد اعترف بعض الخبراء والمعلقين الإسرائيليين بواقعية هذا المصطلح أو المفهوم، بعد معركة حركة الجهاد الإسلامي في نيسان/أبريل من سنة 2023، والتي انتهت بوقف لإطلاق النار، وبالرغم من عدم مشاركة حركة حماس فيها، فقد قال الصحفي الإسرائيلي "يوني بن مناحم": "إن مهاجمة إسرائيل بالصواريخ، خلال عيد الفصح من قطاع غزة وجنوبي لبنان ليست سوى المرحلة الأولى في حرب الاستنزاف من جانب 'محور المقاومة' بقيادة إيران، عبر استخدام إستراتيجية وحدة السّاحات"⁽²⁾.

(1) د عماد علو، "إستراتيجية وحدة الساحات.. حرب متعددة الجبهات أم حرب إقليمية"، بتاريخ 2023/11/25م،

على الرابط التالي: <https://n9.cl/g293w>

(2) موقع قناة الميادين، بتاريخ 2023/4/13م، على الرابط التالي: <https://n9.cl/x95fc>

وإجمالاً، فإن مفهوم (وحدة الساحات) يقصد به عملياً تحريك عدة ساحات أو جهات في الوقت نفسه ضد العدو الإسرائيلي، حتى لو بدأت المعركة إحدى حركات المقاومة لأسباب معينة، وهذه الساحات تشمل قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان والجولان السوري والعراق واليمن، وأحياناً يشارك فيها فلسطينيو أراضي سنة 1948.

وينطلق مفهوم وحدة ساحات المقاومة من فكرة عقديّة ترى أن خيارات حركات المقاومة في أي مكان وفي أي سياق وفي أي توقيت واحدة، ونظراً إلى وجود رابط إيديولوجي واحد يجمعها - وهو مقاومة إسرائيل؛ - لكن - وبحسب بعض المراقبين - الرابطة العقديّة في الواقع العملي لا تكفي بمفردها لكي يقرر الجميع في التوقيت نفسه محاربة إسرائيل، وإنما هناك حسابات داخلية وإقليمية قد تجعل هذا الخيار ليس واحداً.⁽¹⁾

واستناداً إلى كل ذلك، فقد شكل مفهوم (وحدة الساحات) تطوراً إستراتيجياً في المواجهة بين الفواعل - ما دون الدول - الإقليمية الممانعة والمقاومة للوجود والنفوذ الأمريكي والصهيوني في منطقة الشرق الأوسط، من خلال مواجهات مسلحة وعنيفة في عدد من السّاحات، التي كان من أبرزها السّاحات الفلسطينية والسورية والعراقية واللبنانية واليمانية، وقد تمثلت هذه المواجهات في ضرب القواعد والقوات الأمريكية في السّاحتين السورية والعراقية، وكذلك قصف للمواقع العسكرية والمستوطنات الصهيونية عبر الساحة اللبنانية والجولان السوري المحتل بالصواريخ والطائرات المسيرة وقذائف الهاون، وعادةً ما يتبعها رد من قبل القوات الأمريكية والإسرائيلية بضربات جوية أو صاروخية لمواقع فصائل المقاومة في السّاحات السورية والعراقية واللبنانية والفلسطينية⁽²⁾.



(1) عمرو الشوبكي، "وحدة الساحات أم تعددها"، موقع عروبة 22، بتاريخ 2023/11/27م، على الرابط التالي:

<https://n9.cl/zrmqo>

(2) د عماد علو، مرجع سابق.

ثانياً: اتجاهات التصعيد بعد السابع من أكتوبر

تعكس اللحظة الحالية في المنطقة- وفق تحليل بعض المختصين⁽¹⁾ لأبرز اتجاهات التفاعلات الجارية - مشهدين متناقضين: أحدهما هو تنامي حدة التصعيد والمواجهات العسكرية، والآخر هو محاولة التهدئة أو التبريد، فعلى الرغم من مرور عدة أشهر على بداية الحرب في قطاع غزة، وما يصاحبها من تصعيد على جبهات أخرى، فإن هناك مبادرات وجولات دبلوماسية للتهدئة، وما بين المشهدين تواجه دول المنطقة تحديات جدية، خاصة بالنسبة لأمنها القومي واستقرارها الداخلي، وللمشروعات التي تتعلق بالتقدم الاقتصادي وجذب الاستثمارات أو مشروعات التنمية الاقتصادية بشكل عام، على اعتبار أن ما يحدث في الإقليم يؤثر بشكل مباشر في هذه المشروعات.

لقد اعتمدت إيران خيار التصعيد المتدرج والمنضبط، عبر توزيع الأدوار على جماعات تابعة وحليفة لها في جبهات متعددة تشمل كلاً من لبنان، وسوريا، والعراق، واليمن، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يشن حزب الله هجمات يومية على المواقع العسكرية الإسرائيلية في المنطقة الحدودية مع لبنان، بينما يطلق الحوثيون صواريخ كروز وطائرات مسيرة باتجاه إيلات، كما تنطلق هجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة تستهدف التواجد الأمريكي في العراق وسوريا، حيث تهدف تلك الهجمات إلى تخفيف الضغط عن قطاع غزة، وإبراز التضامن معها.

فمنذ هجوم السابع من أكتوبر 2023 - وتجسيدا لإستراتيجية (وحدة الساعات)- ذكرت مصادر صحفية أن فصائل المقاومة في كلٍ من العراق وسوريا ولبنان انخرطت في غرفة عمليات مشتركة مع حركة حماس، بعد أن سافر قادة المجموعات المسلحة العراقية إلى سوريا ولبنان برفقة مجموعة مسلحين، ولم يعد سرّاً القول بأن غرفة العمليات المشتركة لمحور المقاومة تحظى بدعم مستشارين إيرانيين وتقوم بتنسيق العمليات العسكرية ضد القوات الأمريكية والإسرائيلية في سياق تنفيذ إستراتيجية وحدة الساعات، التي أقر اتباعها من قبل فصائل محور المقاومة منذ أعوام⁽²⁾.

وقد شهدت ساحات الإسناد عمليات عسكرية مختلفة لفصائل محور المقاومة، في إطار دعم ساحة عمليات حركة حماس في ضوء تداعيات عملية (طوفان الأقصى)، والهجوم الصهيوني المقابل المعروف إسرائيليًا بعملية (السيوف الحديدية)، فجاءت على النحو التالي:

على الصّعيد الإيراني لم نشهد أي تحرك عسكري كإسناد مباشر لساحة غزة؛ لكن كان هناك مجرد تحركات إيرانية من خلال الاتصالات الدبلوماسية وعقد اللقاءات مع مختلف الأطراف، وإعلان

(1) نقلاً عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، "ورشة عمل موسعة بعنوان "الشرق الأوسط إلى أين..

هل تتسع دائرة الحرب في الإقليم؟"، بتاريخ 2024/11/15م، على الرابط التالي: <https://n9.cl/fiete>

(2) د عماد علو، مرجع سابق.

دعم إيران للشعب الفلسطيني وحركة حماس، وقد أطلق المسؤولون الإيرانيون العديد من التصريحات والمواقف التي تحذر من تحول المواجهات في غزة إلى حرب شاملة؛ لكن - ومن جانب آخر- أطلقت إيران نحو 100 صاروخ بالستي متوسط المدى، وأكثر من 30 صاروخ كروز، وما لا يقل عن 150 مسيرة هجومية باتجاه إسرائيل ليل السبت الموافق 2024/4/13، كردّ على قصف إسرائيل لمبنى القنصلية الإيرانية في دمشق في وقت سابق، وأحصى الجيش الإسرائيلي من جهته أكثر من 350 مقدوفًا، وقال: إن 99 في المئة منها دُمّر قبل أن يصل إلى هدفه⁽¹⁾.

وعلى الساحة اللبنانية - التي تعتبر أكثر ساحات المواجهة سخونة بعد الساحة الفلسطينية في غزة والضفة الغربية- يستمر تصاعد التوتر على الجبهة الشمالية لإسرائيل، في ظل استمرار إسرائيل في قصف البلدات الجنوبية اللبنانية، منذ الثامن من أكتوبر/تشرين الأول الماضي، ردًا على إطلاق حزب الله لصواريخ وقذائف مضادة للدروع وطائرات مسيرة نحو المواقع والبلدات الإسرائيلية الشمالية، وفي نفس السياق فقد أعلن حزب الله - بمناسبة مرور 200 يوم على حرب غزة- أنه نفذ 1650 عملية ضد إسرائيل منذ بدء التصعيد بينهما⁽²⁾، كما شدّد الأمين العام لحزب الله "حسن نصر الله" قائلاً: "الجبهة اللبنانية مستمرة في مساندة غزة، وهذا أمر حاسم ونهائي، والأمريكي والفرنسي سلم بهذه الحقيقة"⁽³⁾.

وبما أن هذه الساحة تشهد - أثناء إعداد هذه الدراسة- حالة تصعيد عسكري على جبهة الجنوب ضد الجيش والمستوطنات الإسرائيلية بشكل ملحوظ، لذا تجدر الإشارة إلى بعض السيناريوهات المتوقعة في قادم الأيام، التي قد تأتي على النحو التالي:

- قد يكون التصعيد الحالي لضبط إيقاع المعركة، والاستمرار في حالة تقييد الصراع ضمن حدود معينة.
- قد تعمل التطورات المتسارعة على الجبهة في الدفع نحو مسار إجباري من التصعيد العسكري في المنطقة، لكنه يبقى دون مستوى الدخول في حرب إقليمية مفتوحة.
- توسيع ساحة الحرب في لبنان، حيث إن الضربات الإسرائيلية الأخيرة داخل لبنان يمكن أن تشكل تمهيد ساحة المعركة لهجوم شامل، لأن حجم الهجمات الصاروخية من جانب الحزب على إسرائيل قد يدفع إلى حرب غير مقصودة، بداعي تغيير الوضع الاستراتيجي على الحدود الشمالية لإسرائيل، وإعادة المستوطنين منازلهم في الشمال.

(1) موقع B B C عربي، بتاريخ 2024/4/15، على الرابط التالي: <https://n9.cl/x869m>

(2) موقع B B C عربي، بتاريخ 2024/5/6، على الرابط التالي: <https://n9.cl/xstao>

(3) موقع R T عربي، بتاريخ 2024/5/13، على الرابط التالي: <https://n9.cl/a3fec>

أما ساحة الجولان: فقد أُطلق بعض الصواريخ والطائرات المسيّرة، لكن المشاركة كانت محدودة نسبياً، وقام العدو الإسرائيلي بقصف مطاري دمشق وحلب ومواقع لحزب الله في سورياً، وسقط عدد من شهداء الحزب جرّاء هذا القصف.

وعلى صعيد الساحة العراقية: أطلقت قوات المقاومة الإسلامية وكتائب حزب الله الصواريخ والطائرات المسيّرة على القواعد الأميركية في العراق وسورياً، وذلك باعتبار أن الولايات المتحدة تدعم الكيان الإسرائيلي في المعركة ويجب توجيه الضربات إليها، وردت القوات الأميركية بقصف بعض مواقع المجموعات المؤيدة لإيران في سورياً، كما أُطلق بعض الصواريخ على مطار إيلات⁽¹⁾.

والسّاحة اليمينية: وهي أبعد السّاحات من الناحية الجغرافية؛ ولكن حركة أنصار الله الحوثية - كجزء من محور المقاومة والتزامها باستراتيجية وحدة الساحات- دخلت المعركة يوم 18 تشرين الأول/أكتوبر 2023، في أعقاب الهجوم الإسرائيلي على "المستشفى الأهلي المعمداني" في غزة، وقد استخدمت صواريخ أرض/أرض، والطائرات المسيّرة الانتحارية، مستهدفة ميناء إيلات الإسرائيلي، حيث شاركت جماعة الحوثي في المعركة من خلال إطلاق الصواريخ الباليستية والطائرات المسيّرة، وأشارت بعض التقارير الإعلامية إلى أن القوات والبوارج الأميركية الموجودة في البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط نجحت في إسقاط معظم الصواريخ والطائرات اليمينية التي أُطلقت في اتجاه إسرائيل⁽²⁾؛ إلا أنّ إسرائيل حالياً ترى أنّ مدى الضرر والخطر الذي يشكله الحوثيون لا يقترب بأي حال من الأحوال من التهديد الذي يشكله حزب الله اللبناني وحركة حماس، أو حتّى وكلاء إيران في سوريا.

كما يلاحظ على أرض الواقع- في ظل التوترات الإقليمية الراهنة- أنه ليس لدى واشنطن إستراتيجية متماسكة تساندها قوة عسكرية تستطيع من خلالها التأثير في مجريات الأمور في المنطقة، ويُنظر إلى المرحلة الحالية في الشرق الأوسط باعتبارها مرحلة فاصلة في سياسات الولايات المتحدة تجاه المنطقة، خاصةً وأنّ التوتر الإقليمي في تصاعد، وثمة مخاوف من حرب إقليمية واسعة النطاق؛ بيد أن الخيارات المتاحة أمام إدارة الرئيس "جو بايدن" تبدو محدودة، إذ إن الخيارات التي تم اعتمادها في السّابق والتي تعتمد على التهدئة أو الاحتواء أو فرض عقوبات اقتصادية لم تؤت ثمارها، والآن يتمثل المسعى في إبطاء الأزمة الحالية والتركيز على استهداف وكلاء إيران؛ لكن ذلك قد يدفع إلى تفاقم الأزمة، خاصة أن هناك أطرافاً تريد جر الولايات المتحدة إلى حرب إقليمية، وأي

(1) قاصم قصير، "وحدة الساحات أو وحدة الجبهات أو محور المقاومة: بين الشعارات والوقائع"، ورقة سياسات،

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد (2)، نوفمبر 2023.

(2) د عماد علو، مرجع سابق.

سوء تقدير أو استغلال للتوترات قد يدفع بواشنطن إلى صراع أوسع تضطر فيه إلى دفع تكلفة سياسية وعسكرية كبيرة.

ومن المرجح أن إسرائيل ليست معنية حالياً بتصعيد عسكري إقليمي واسع النطاق، وإنما تركيزها - بشكل أساسي - على إعادة ترميم الوضع الداخلي؛ لكن هذا لا يمنع من أن تؤدي التحركات العسكرية الإسرائيلية على مختلف الجبهات (لبنان، وسوريا، واليمن)، وتحركات رئيس الوزراء "بنيامين نتياهو" (الهادفة إلى تعزيز وضعه السياسي في الداخل) إلى تصعيد غير محسوب، سيعتمد في شدته على ردود فعل السّاحات الأخرى، فبالنسبة لجبهة لبنان فإن الموقف الإسرائيلي ينحصر في أمرين: الأول هو التخوف من أن يقوم حزب الله بهجوم على غرار ما قامت به حركة حماس في 7 أكتوبر الماضي، أو تصاعد نوعيّة ومدى الضّربات العسكريّة تجاه المستوطنات في الشّمال، خاصةً بالنظر إلى تطور الإمكانيات العسكريّة لحزب الله مقارنة بحماس، والأمر الثاني يتعلق بإعادة الإسرائيليين الذين تم إجلاؤهم منذ بدء الحرب على جبتي لبنان وغزة، والذين بلغ عددهم 231 ألفاً، بما يعادل نحو 2.4% من مجمل سكان إسرائيل، حيث يمثل مُعضلة إسرائيلية بالإضافة إلى المعضلات الأخرى⁽¹⁾.

وبالإجمال فإنّ وضع الانتشار العسكري للأطراف الدوليّة والإقليميّة في ضوء التطورات التي تشهدها المنطقة حالياً يكشف عن أنّ الإقليم في حالة ذروة انتشار عسكري، وأنّ هذا الانتشار هو انعكاس لاستجابة طوارئ أمنيّة خطيرة، مع عدم امتلاك أي طرف (إستراتيجيّة ردع)، فعليه يمكن القول بأن ما يجري - حتى تاريخ كتابة هذه السطور - (حرباً في الإقليم)، وليس حرباً إقليميّة، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الصّراعات في الإقليم غير قابلة للحسم العسكري، ولم تُحسم بالتّسويات في نفس الوقت، ما يُرجح إمكانية استمرار الوضع القائم حالياً لفترة زمنية ما.

كما تتأرجح مؤشرات التفاعلات الإقليمية المتوقعة في المستقبل القريب حول اتّجاهين: الأول: اتساع بُور التّصعيد الإقليمي بتزايد رقعة وتنامي حدّة وكثافة المعارك في الإقليم، والآخر: هو الحرب الإقليمية الشاملة؛ لكن تميل أغلب التقديرات إلى أن الاتجاه الأول هو الأقرب إلى الواقع، فالقوى الإقليمية الرئيسيّة تنأى بنفسها عن الانخراط في الحروب والمعارك التي ربما تخوضها واشنطن وطهران (بالوكالة)، كما تتفادى المشاركة في تحالفات عسكريّة على جبهات التّصعيد، بينما تلتزم بخط الدبلوماسية، والتنسيق المشترك من أجل تبريد السّاحة الإقليمية، إضافة إلى التركيز على القضية الرئيسيّة التي تفجر الصراع الإقليمي من مرحلة لأخرى، وهي القضية الفلسطينية.

باختصار يمكن القول: بأنه في الوقت الذي قد يوفر فيه الخيار الإيراني دعماً سياسياً للمقاومة الفلسطينية ويضع ضغوطاً على الولايات المتحدة؛ لكنه يضع شكوكاً كبيرة حول جدية وفاعلية

(1) نقلاً عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، مرجع سابق.



التداعيات الإقليمية بعد السابع من أكتوبر "مفهوم وحدة الساحات وتطبيع العلاقات"

معادلة (وحدة الساحات) التي روجت لها إيران وما يعرف بمحور المقاومة خلال السّنوات الماضية، الأمر الذي قد يفرض تجديد النقاش داخل حركة حماس حول حدود المتوقع من إيران، وضرورة إعادة التوازن للعلاقة معها⁽¹⁾.



(1) "نشرة بعنوان: "تداعيات حرب غزة على نفوذ إيران الإقليمي"، مآلات دولية، العدد 48، ديسمبر 2023م،

موقع أسباب على الرابط التالي: <https://www.asbab.com>.

ثالثاً: مسار التّطبيع العربي الإسرائيلي

اعتبرت الدول العربيّة - لعدّة عقود- أن إسرائيل دولة عدو، وأجمعت على رفض كافة أشكال التعامل معها قبل التوصل إلى حل عادل للقضيّة الفلسطينيّة، وذلك استناداً إلى مبادرة السلام العربيّة التي أُقرّت في القمة العربيّة في بيروت عام 2002م، والتي رهنت أيّ اعتراف عربيّ بإسرائيل بانسحابها الكامل من جميع الأراضي العربيّة المحتلة عام 1967م، وقيام دولة فلسطينيّة مستقلة ذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقيّة، والتوصل إلى حل عادل لمشكلة اللّاجئين الفلسطينيّين، مقابل قيام الدول العربيّة بإنشاء علاقات طبيعيّة في إطار سلام شامل مع إسرائيل⁽¹⁾.

إلا أنّ هذا الإجماع لم يمنع بعض الدول العربيّة من إطلاق مسار لإنهاء حالة العداء والمقاطعة عبر إبرام اتفاقيّات سلام بشكل منفرد مع إسرائيل، إذ كانت أول دولة عربيّة سارت في هذا المسار جمهوريّة مصر العربيّة بإبرامها اتفاقيّة (كامب ديفيد 1978 – 1979) مع إسرائيل برعاية أمريكيّة، ثم تلتها بعد ذلك منظمة التحرير الفلسطينيّة (أوسلو 1993)، ثم المملكة الأردنيّة الهاشميّة (وادي عربة 1994)، بالإضافة إلى لحاق كل من دولة الإمارات العربيّة ومملكة البحرين بهذا المسار في أغسطس من العام 2020، ثم تلتها كل من المملكة المغربيّة وجمهوريّة السودان، من خلال التوقيع على اتفاقيّات لتطبيع العلاقات الكاملة مع دولة إسرائيل، فيما بات يعرف بـ (اتفاقيّات أبراهام).

إلى جانب شروع المملكة العربيّة السعوديّة في الأعوام الأخيرة في مفاوضات بوساطة أمريكيّة خلف أبواب مغلقة لتطبيع العلاقات مع إسرائيل، بحيث صدرت تصريحات متفائلة من قادة السعوديّة وإسرائيل - قبل السّابع من أكتوبر - حول إمكانيّة تقارب غير مسبوق بين البلدين، إذ أكد ولي العهد السعودي الأمير "محمد بن سلمان" أنّ الرياض وتل أبيب كل يوم تقتربان، وتبدو المحادثات لأول مرة جديّة وحقيقيّة"، وأضاف في مقابلة مع شبكة "فوكس نيوز" الأمريكيّة في العشرين من سبتمبر/أيلول 2023 بأن الاتفاقيّة بين البلدين ربما ستكون "أكبر صفقة تاريخيّة منذ الحرب الباردة"⁽²⁾..

كما أشار رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" - قبيل عمليّة طوفان الأقصى بمدة زمنيّة قليلة - إلى أنه يعتقد أن بلاده على أعتاب سلام مع السعوديّة، متوقّعاً أن يتمكن الرئيس الأمريكي "جو بايدن" من تحقيق هذه الخطوة، التي قال عنها: إنها ستغير شكل منطقة الشرق الأوسط، وأمام الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة في نيويورك أضاف: " أنه ليس هناك شك في أن اتفاقيّات

(1) هاني طالب، "تحالف "ترامب" "نتنياهو" ومعادلة التطبيع والسلام العربي الإسرائيلي"، الموسوعة الجزائرية، بتاريخ 2021/6/3، على الرابط التالي: <https://n9.cl/e6s899>.

(2) موقع Deutsche Welle الإخباري، بتاريخ 2023/9/27، على الرابط التالي: <https://n9.cl/un2m4>.

أبراهام بنشرت بيزوغ فجر عصر جديد من السلام... وأعتقد أننا على أعتاب انفراجة أكثر دراماتيكية.. سلام تاريخي بين إسرائيل والسعودية⁽¹⁾.

وبالرغم من ذلك فإن هجوم مقاتلي حماس على إسرائيل يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول والحرب التي أعقبته - والتي لا تزال متواصلة حتى اللحظة الراهنة- قد وضع حدًا - بحسب بعض المراقبين - لأي حديث عن عودة المفاوضات لتطبيع العلاقات بين السعودية وإسرائيل، ومنذ ذلك التاريخ لم تُبدِ الرياض أيَّ رغبة في الماضي في مساره وسط أجواء عربيّة ودوليّة مشحونة بمشاعر شعبيّة معادية لإسرائيل جراء فظائع الحرب في قطاع غزة، وما خلفته من ضحايا بين المدنيّين ودمار هائل في القطاع.

إلا أنه- وفي خضم تلك الحرب- عاد سفير المملكة العربيّة السعوديّة في لندن الأمير "خالد بن بندر" ليشير- في تصريحات أدلى بها لبي بي سي في 10 يناير/كانون الثاني الماضي- إلى التأكيد على اهتمام بلاده بتطبيع العلاقات مع إسرائيل بمجرد أن تضع حرب غزة أوزارها، ومن جديد شدّد السفير السعودي على أنّ أيّ اتّفاق للتطبيع "لابد أن يؤدي إلى إنشاء دولة فلسطينيّة"⁽²⁾، كما كشف الأمير "خالد بن بندر" في ذات السياق عن أنّ الاتفاق كان (وشيكًا) عندما علّقت السعوديّة المحادثات بوساطة أمريكيّة، إثر الحرب الإسرائيليّة على غزة بعد هجمات السّابع من أكتوبر/تشرين الأول، وأوضح أن بلاده لا تزال تؤمن بإقامة علاقات مع إسرائيل، على الرغم من الخسائر الفادحة في الأرواح في غزة؛ لكنه استدرك قائلاً: إنه لا ينبغي أن تقوم تلك العلاقات "على حساب الشّعب الفلسطيني".

ومع اندلاع الحرب انخرطت إيران بشكل فوري في دوّامة الأزمة لتعزيز مكاسمها، ولتلافي التداعيات السلبية المحتملة للحملة العسكريّة الإسرائيليّة على غزة، حيث حرصت طهران على تأكيد رسالة مرشد الثورة "علي خامنئي" بأن "الحكومات التي تتجه إلى التطبيع مع الاحتلال تراهن على حصان خاسر"، بعد أن حطّمت عمليّة (طوفان الأقصى) نظريّة الأمن الإسرائيليّة، وأظهرت هشاشة جيش الاحتلال، وإخفاقه في ضمان أمن إسرائيل، فضلًا عن أن توفره للآخرين، كما أبرزت قدرات أحد مكونات محور المقاومة على قلب المشهد الإقليمي رأسًا على عقب⁽³⁾.

وقد قامت مملكة البحرين بقطع علاقاتها الاقتصادية مع إسرائيل، وسحب سفيرها لديها بعد نحو ثلاث سنوات من توقيع اتفاقية التطبيع بينهما، وذلك بعد اندلاع حرب الإبادة الجماعيّة الإسرائيليّة

(1) موقع Deutsche Welle الإخباري، بتاريخ 2023/9/27، على الرابط التالي: <https://n9.cl/un2m4>.

(2) موقع B B C عربي، بتاريخ 2024/4/30، على الرابط التالي: <https://n9.cl/z74gi>.

(3) نشرة بعنوان: "تداعيات حرب غزة على نفوذ إيران الإقليمي"، مآلات دولية، العدد 48، ديسمبر 2023م، موقع

أسباب على الرابط التالي: <https://www.asbab.com>.

ضد قطاع غزة، حيث أكد مجلس النواب البحريني في بيان - الخميس الموافق 2023/11/2 - على مغادرة سفير إسرائيل للبحرين وعودة سفير البحرين من إسرائيل، ووقف العلاقات الاقتصادية⁽¹⁾، وبالمقابل تسعى المملكة في الوقت الحالي إلى التقارب مع إيران، حيث أشار ملك البحرين "حمد بن عيسى آل خليفة" - خلال اجتماع مع الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" في موسكو يوم الخميس الموافق 23 مايو/أيار 2024- إلى أنه "لا يوجد سبب لتأجيل استئناف العلاقات الدبلوماسية بين المملكة وإيران"، وأضاف الملك "حمد" أنّ المملكة تتطلع إلى تحسين علاقاتها مع طهران⁽²⁾، كما منعت سلطنة عُمان عبور الطائرات الإسرائيلية فوق أجوائها.

أما بالنسبة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة فقد أعربت عن رفضها مواصلة التنسيق الدبلوماسي مع إسرائيل، على خلفية مقتل موظفي (المطبخ المركزي العالمي) وعمال الإغاثة في غزة خلال الحرب، حيث أجرى وزير الخارجية الإسرائيلي "يسرائيل كاتس" مكالمة هاتفية مع نظيره الإماراتي "عبد الله بن زايد"، كما عقد المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية "يعكوف بليتشتاين" اجتماعاً مع السفير الإماراتي "محمد محمود آل خاجة"، وفي هذا السياق ذكرت قناة "i24NEWS" نقلاً عن مصادر خاصة أن السفير "آل خاجة" وصف الوضع الحالي بأنه (الأسوأ بين البلدين)⁽³⁾.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى موقف جمهورية مصر العربية الحاسم تجاه الحرب، من رفض القاهرة لمخطط إسرائيل الذي يهدف إلى تهجير فلسطيني قطاع غزة إلى سيناء، حيث شدد الرئيس "عبد الفتاح السيسي" - في أكثر من مناسبة- على رفضه المطلق لمحاولات إسرائيلية وأمريكية وأوروبية لـ (تهجير الفلسطينيين) إلى الأراضي المصرية، معتبراً ذلك تصفية للقضية الفلسطينية على حساب دول الجوار، وقد تصاعدت الأزمة بين مصر وإسرائيل بعد شن الجيش الإسرائيلي عملياته في رفح، واحتلاله للجانب الفلسطيني للمعبر الحدودي الذي يربط قطاع غزة بمصر، حيث انتقد الجانب المصري سيطرة الجيش الإسرائيلي على المعبر، والتلويح بأعلام إسرائيل في منطقتة، وفي هذا السياق قال أحد المسؤولين الإسرائيليين: "الوضع مع مصر الآن هو الأسوأ منذ بداية الحرب"، وأضاف: "منذ بدء العملية في رفح حدثت نقطة تحول في موقف المصريين تجاه إسرائيل، إنهم يتصرفون عمداً لإزعاجنا، ويحاولون فرض نهاية للحرب علينا"، كما أعرب بعض المسؤولين في تل أبيب - في حديث مع (هآرتس) - عن خشيتهم من أن تنسحب مصر من جهود الوساطة بين إسرائيل

(1) موقع عرب 48، بتاريخ 2023/11/2، على الرابط التالي: <https://n9.cl/u7cz6>

(2) موقع B B C عربي، بتاريخ 2024/5/24، على الرابط التالي: <https://n9.cl/rig9nz>

(3) موقع RT عربي، بتاريخ 2024/4/4، على الرابط التالي: <https://n9.cl/858nh>

وحماس للتوصل إلى اتفاق لإطلاق سراح المختطفين، وأن التعاون الأمني والاستخباراتي بين البلدين سيتضرر إذا استمرت الأزمة⁽¹⁾.

كما أصدر الأردن إشارات إعلامية حادة تجاه مستوى الجرائم الإسرائيلية، خصوصاً في ظل تزايد انعكاسات الحرب في غزة على الضفة الغربية، إذ استدعى سفيره لدى تل أبيب، وطالها بعدم إعادة سفيرها إلى عمان، وتم إلغاء لقاء قمة كان يفترض أن يجمع الرئيس الأميركي "جو بايدن" بملك الأردن ورئيسي مصر والسلطة الفلسطينية في عمّان في اليوم التالي لمجزرة المستشفى المعمداني التي راح ضحيتها مئات الشهداء في قطاع غزة، وقد صرّح رئيس الوزراء الأردني "بشر الخصاونة" بأن أي محاولات - أو خلق ظروف- لتهجير الفلسطينيين من قطاع غزة أو الضفة الغربية المحتلة سيعده الأردن إعلان حرب، وهو تعبير غير مسبوق منذ عقود من العلاقة بين الطرفين، وعلى الصعيد الإغاثي أبقى الأردن على مستشفى ميداني له في شمال القطاع، وأرسل مستشفى آخر إلى جنوبه، ومستشفى ثالثاً إلى الضفة الغربية تحسباً لتصعيد متوقع هناك، كما أرسل مساعدات إنسانية إلى غزة عبر معبر رفح ومن أراضيه مباشرة⁽²⁾.

فمن الواضح أنّ اندلاع تلك الحرب أكّد على حقيقة أن اتفاقيات التطبيع لم تؤد إلى إحلال السلام الإقليمي، ومعالجة مشكلة احتلال الأراضي الفلسطينية، حيث رفضت إسرائيل الانصياع إلى أية نداءات إقليمية أو دولية تطالبها بوقف حربها تلك، وعلى العكس فإن دولة قطر التي لم توقع على اتفاقية تطبيع ولم تقم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل استطاعت - بالتعاون مع مصر- إقناع طرفي النزاع في 21 نوفمبر 2023، بتطبيق هدنة إنسانية مؤقتة امتدت لأسبوع، تم فيها إطلاق سراح عدد من الرهائن والأسرى من قبل الطرفين، وسرعان ما استأنفت إسرائيل الحرب إثر انتهائها.

وقد أجمعت دول الإقليم - بعد السابع من أكتوبر- على أن ما تقوم به إسرائيل يخالف قواعد القانون الدولي ويبرز سياسة ازدواجية المعايير، وأن الخروج من هذا المأزق يكمن في إقامة دولة فلسطينية على حدود 1967 عاصمتها القدس الشرقية، ومن الجدير بالملاحظة أنه لم تخلُ مباحثات أو لقاءات تجمع قادة دول المنطقة خلال الفترة الأخيرة إلا واحتلت القضية الفلسطينية الجزء الأبرز منها، وهو ما يعكس ارتفاع درجة تأثير عملية طوفان الأقصى، واستمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في أمن واستقرار المنطقة برمتها بشكل عام، وعلى دفع التوجّهات السياسية الإقليمية نحو مسارات بديلة لمسار التطبيع العربي الإسرائيلي، الذي كان قائماً بالأساس على تشكيل منظومة أمنية إقليمية في المنطقة بزعامة إسرائيل ورعاية الولايات المتحدة الأمريكية،

(1) RT عربي، بتاريخ 2024/5/16، على الرابط التالي: <https://n9.cl/4jn7b1>.

(2) محمد غازي الجمل، "الأردن وطوفان الأقصى.. أبعاد التأثير والتأثير"، موقع الجزيرة نت، قسم تحليل سياسي،

بتاريخ 2024/1/17، على الرابط التالي: <https://n9.cl/d55zc>.

ومن ثمّ إعادة طرح القضية الفلسطينية كقضية جوهريّة في مسار الصراع العربي الاسرائيلي بصورة خاصة.

وبالتالي لا يمكن إغفال دور عمليّة طوفان الأقصى في السّابع من أكتوبر، وأثار الحرب السليبيّة على مسار عمليّة التطبيع بين إسرائيل وعدد من بلدان الإقليم، ومن ثم الإقرار بأنّ تغييرًا سيطرأ على بعض المعادلات التي كانت قائمة قبل ذلك التّاريخ، سواء على صعيد الدول أو فواعل ما دون الدولة التي يشهد دورها صعودًا لافتًا مقابل حالة من الضعف تعترى الدولة الوطنيّة في العالم العربي، خاصّة أن العمليّة وقعت قبل فترة قليلة من بعض التكهّنات حول اقتراب توقيع اتفاقية للتطبيع بين إسرائيل والسعوديّة برعاية أمريكية، على غرار اتفاقيّات التطبيع الإبراهيمية، وهو ما دفع الرئيس الأمريكي "جو بايدن" إلى القول بأن: "أحد الأسباب التي دفعت حماس إلى الهجوم هو أنهم كانوا يعلمون أنني كنت أعمل بشكل وثيق للغاية- خاصة مع السعوديين وغيرهم في المنطقة- لإحلال السلام في المنطقة من خلال الاعتراف بإسرائيل، وحق إسرائيل في الوجود"⁽¹⁾، وهو الأمر الذي يعني وجود معضلة رئيسيّة قد تستمر لفترة طويلة خلال العام 2024 أمام أيّة محاولات أمريكية راميّة إلى توسيع علاقات التطبيع بين تل أبيب ودول الإقليم، خاصّة مع الرياض.



(1) د محمود عز العرب، "القضايا العشرة.. اتجاهات تفاعلات دول الإقليم خلال 2023"، مجلة الملف المصري، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، العدد 112، ديسمبر 2023، ص 5 – 12.

رابعاً: فاعلية وحدة السّاحات ومستقبلها

إنّ رفع شعار (وحدة ساحات) المقاومة منذ عدة سنوات أوحى للكثيرين بأنه - وبمجرد اندلاع المواجهة في فلسطين- سيعني تلقائياً وفق هذا الشعار اندلاع متزامن للحرب في باقي السّاحات، ومن ثمّ نشوب حرب إقليمية واسعة، إذ ينطلق شعار (وحدة ساحات) المقاومة من فكرة عقديّة تتصور أن خيارات أحزاب المقاومة في أيّ مكان، وفي أي سياق، وفي أي توقيت واحدة، نظراً إلى وجود الرابط الإيديولوجي الواحد الذي يجمعها، وهو مقاومة إسرائيل، وقد ثبت في الواقع العملي أن الرابطة العقديّة لا تكفي بمفردها - في ضوء استمرار حالة اشتباك ضمن حالة اللّاحرب واللّاسلم على باقي الجهات - لكي يقرر الجميع في التوقيت نفسه الدخول في حرب مفتوحة ضد إسرائيل، وإنما هناك حسابات داخلية وإقليمية تجعل هذا الخيار ليس واحداً⁽¹⁾.

لكن وضعت الحرب ضد غزّة شعار أو إستراتيجيّة (وحدة الساحات) على المحك، وأجبرت الشركاء في الساحات الأخرى أيضاً على توضيح معنى التنسيق، فمنذ البداية أوضح حزب الله وإيران أن هناك حدوداً لما سيسمح محور المقاومة لإسرائيل بالقيام به في غزّة، بما في ذلك الغزو البري للقطاع. ومع ذلك لم يوضّحاً أبداً ماذا سيكون ردهما، ولا إلى أيّ مدى سيذهبان، مع الاحتفاظ بهامش من المناورة، فبعد أكثر من ثمانية أشهر من حرب الإبادة الجماعيّة ضد قطاع غزّة، وسقوط ما يزيد عن 3708 شهيد، وأكثر من 70000 جريح في القطاع وحده -منذ السابع من أكتوبر حتى تاريخ كتابة هذه السطور-، بالإضافة إلى 532 شهيد في مناطق الضفّة الغربيّة في نفس المدة الزمنيّة⁽²⁾، إضافة إلى تدمير ممنهج لمعظم مقومات الحياة من مبانٍ سكنيّة وبنية تحتية داخل غزّة، إلى جانب إمعان الجيش الإسرائيلي في ممارسة حرب التجويع ضد السكان المدنيّين، لم يبلغ كل هذا الحد غير المسموح به من جانب ساحات الإسناد أو محور المقاومة، ومن ثم تفعيل معادلة وحدة عضويّة وشاملة لتلك السّاحات، بالشكل الذي يفرض على كافة الأطراف الإقليمية والدوليّة مراجعة مواقفها وتوجهاتها السياسيّة، بما قد يسهم في إيقاف المذبحة الجارية في فلسطين.

لقد أشارت تصريحات بعض قادة حركة حماس - مثل رئيس الحركة في الخارج "خالد مشعل"، الذي يعتبر على حزب الله أو يدعو إلى زيادة دوره في المعركة- إلى التباس في العلاقة بين قوى المقاومة التي تشكل (وحدة السّاحات)⁽³⁾، على الرغم من أن بقيّة قادة حماس وجهت الشُّكر العلني إلى حزب الله وقوى المقاومة وإيران على دورهم في دعم الحركة والشعب الفلسطيني، كما قام رئيس المكتب السياسي للحركة إسماعيل هنية -على رأس وفد من الحركة- بزيارة إيران، واللقاء مع السيد خامنئي

(1) عمرو الشوبكي، مرجع سابق.

(2) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، بتاريخ 2024/6/13، على الرابط التالي: <https://n9.cl/ve2iv>

(3) التلفزيون العربي، بتاريخ 2023/10/16، على الرابط التالي: <https://n9.cl/70kik>

والمسؤولين الإيرانيين، وكذلك عُقد في بيروت لقاء ضمَّ السيد نصر الله وأمين حركة الجهاد الإسلامي زياد نخالة، ونائب رئيس المكتب السياسي في حركة حماس صالح العاروري، وجرى فيه التشديد على التنسيق والتعاون بين قوى المقاومة بعد معركة طوفان الأقصى⁽¹⁾.

ويطرح الواقع الحالي تساؤلات كثيرة حول مستقبل معادلة (وحدة السّاحات) بعد معركة طوفان الأقصى، ونتائجها السياسيّة والميدانيّة والعمليّة، ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار بأنه قد تكون الإجابة عن هذا السؤال صعبة في ظل استمرار الحرب، وعدم التمكن من وقف إطلاق النار، وصعوبة تحديد وجهة ومسار الأمور، سياسياً وعسكرياً وميدانياً؛ لكن- وعلى أي حال- يمكن وضع بعض الملاحظات الأوليّة التي يمكن تطويرها لاحقاً تحت النقاط التالية⁽²⁾:

- بالرغم من أهميّة شعار وحدة السّاحات وتطبيقه جزئياً إلا أنه يلاحظ وجود خلل ما في التّعاون والتنسيق بين القوى التي تتبنى هذا الشعار، إذ إنّ لكل فريق منها حساباته الخاصّة التي تتعلق بدوره وموقعه في المعركة، حيث يأخذ في الاعتبار أوضاع وظروف السّاحة التي يعمل فيها في إطار المعركة الكبرى.
- بشكل عام يظهر أنّ التطبيق الفعلي لمعادلة (وحدة السّاحات) – بعد عمليّة طوفان الأقصى - لم يصل حتى الآن إلى جبهة مشتركة ومتناسقة تدير المعركة بشكل شامل، ووفقاً لرؤية موحدة، على الرغم من وجود أهداف مشتركة وتعاون وتنسيق ثنائي أو مشترك.
- تأثر كل ساحة من ساحات المقاومة بالأوضاع الإقليمية والدوليّة، إضافة إلى الواقع والظرف الداخلي لكل بلد من بلدانها على حدة.
- بعد انتهاء معركة طوفان الأقصى، وفي ضوء النتائج التي ستؤدي إليها - سياسياً وعسكرياً وميدانياً وديموغرافياً- سيكون هناك حاجة إلى تقييم ما جرى، ودراسة أسباب الخلل وكيفية التحضير للمرحلة المقبلة، ذلك بأن هذه المعركة لن تكون نهاية الصراع، وإنما هي مرحلة متقدمة منه، وسيكون لها نتائج مهمة على مستقبل الصراع العربي/الإسرائيلي.
- لقد شكلت معركة طوفان الأقصى امتحاناً عملياً لمعادلة (وحدة السّاحات) التي طرحت في مواجهة العدو الصهيوني خلال السنوات الماضية، وهناك ضرورة قصوى لتقييم ما جرى، وإعادة تحديد طبيعة الإستراتيجيّة التي تتلاءم مع المعركة، بما يخدم تحقيق الأهداف العليا للشعب الفلسطيني، وللقضيّة الفلسطينيّة بشكل أساسي، ومستقبل الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي.



(1) قاسم قصير، مرجع سابق، ص 4.

(2) المرجع السابق، ص 6.

الخاتمة

لقد مثلت عملية السابع من أكتوبر - والحرب الانتقامية التي شنتها دولة الاحتلال الإسرائيلي ضد غزة بعدها- حدثاً دراماتيكيًا مفصليًا في حاضر ومستقبل القضية الفلسطينية، ومن ثمّ في الإقليم بشكل عام، حيث فرضت الوقائع الحالية تحوُّلاً في اتجاهات السياسة الإقليمية، إذ كان الاتجاه العام - العربي على وجه التحديد - يسير بخطى محمومة نحو استكمال تشكيل منظومة أمنية إقليمية تترجمها إسرائيل- وبرعاية الولايات المتحدة الأمريكية- كحلف دفاعي في مواجهة التهديد الإيراني لأمن دول المنطقة، وذلك من خلال لحاق باقي الدول العربية بقطار التطبيع العربي الإسرائيلي الذي انطلق منذ عقود، والذي يشهد في السنوات الأخيرة حركة نشطة لانضمام بعض الدول، إذ كانت المملكة العربية السعودية - والتي تعد من أكبر الدول الوازنة في الإقليم- على أعتاب توقيع اتفاق مرتقب لتطبيع العلاقات مع إسرائيل بوساطة أمريكية قبل السابع من أكتوبر بقليل.

إلا أنّ ما حدث في السابع من أكتوبر وما بعده قد جمّد كل شيء في هذا السياق - المعلن رسميًا على الأقل -، ومن ثم فقد برزت توجهات سياسية أخرى في المنطقة، عبر طرح إستراتيجية إقليمية مخالفة من جانب إيران ووكلائها في المنطقة، من خلال محاولة تطبيق معادلة (وحدة الساحات) على الأرض، في ظل الحرب الدائرة حاليًا في قطاع غزة؛ لكن - وبعد الاختبار العملي لأكثر من ثمانية أشهر لوحدة الساحات - ترى الدراسة: أنّ هناك بونًا شاسعًا بين الشعار والممارسة الفعلية على الأرض، فما زال ما يعرف بمحور المقاومة منذ اندلاع الحرب يعمل ضمن منطوق وحسابات تتعلق بالظرف الداخلي لكل ساحة على حدة بالدرجة الأولى، إلى جانب عدم تجاوز حدود تناسب الفعل ورد الفعل تجاه جيش الاحتلال الإسرائيلي، في إطار معادلة تعدد ساحات إسناد ساحة قطاع غزة، وليس التوحد والانخراط معها بشكل كامل، على خلاف ما كان قد حذر منه نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس "صالح العاروري" قبيل السابع من أكتوبر، من أنّ أيّ استئناف لعمليات الاغتيال من طرف إسرائيل لقادة الحركة قد يثير حربًا إقليمية مدمرة⁽¹⁾.

وباختصار قد تكون عملية السابع من أكتوبر أسهمت إلى حد كبير في ترجيح كفة توجه سياسي إقليمي (وحدة الساحات) بعد السابع من أكتوبر حتى اليوم؛ لكنها لم تلغ وجود التوجُّهات السياسية الأخرى (التطبيع)، أو حتى احتمال عودتها بمجرد أن تضع الحرب أوزارها، بل ومن الممكن قبل ذلك.



(1) تايمز أوف إسرائيل، بتاريخ 2023/8/28، على الرابط التالي: <https://n9.cl/o8js93>